# هاروكي موراكامي..
# سفيراً للأدب الآسيوي

**شرين ماهر**
**باحثة الهيئة العامة للاستعلامات**

**الملخص:**

استأثرت القارة الأسيوية، خلال العقود القليلة الماضية، بأسماء مؤثرة على الساحة الثقافية والأدبية العالمية، ليصبحون سفراء القارة في المضمار الإبداعي والفكري، فمن المعروف أن الآداب الآسيوية تضرب بجذورها منذ القدم فى عدد من الفلسفات المثالية والواقعية والمادية والروحية والواحدية والتعددية، والواقع تعكس الآداب الآسيوية، في تقاليدها العريقة، فهماً للأدب أوسع نطاقاً مما يتبادر إلى الأذهان عن المفهوم المعتاد عن الأدب.

ومن بين أهم وأشهر الأدباء فى القارة الأسيوية، الأديب الياباني ذائع الشهرة، هاروكي موراكامي، وهو أحد أكثر الروائيين اليابانيين قراءة وأقلهم تحدثاً لوسائل الإعلام، وصاحب سلسلة الكتابات التى أثارت انتباه نخب المؤسسات الثقافية الدولية، لقد جذب موراكامي بأعماله شرائح واسعة من القراء على امتداد جغرافية العالم، ما مكنه من احتلال مرتبة الكاتب الأعلى تداولاً في المكتبات، كما حازت أعماله الخيالية والواقعية على ثناء النُقّاد حول العالم وليس في اليابان فحسب، لذلك يُعد من أهم مُؤلفي مرحلة ما بعد الحداثة الأدبية، حيث حصد موراكامي العديد من الجوائز المرموقة في الأوساط الأدبية.

**Abstract:**

**Over the past few decades, the Asian continent has a number of influential figures on the global cultural and literary scene, becoming the continent's ambassadors in the creative and intellectual**

field. Asian literature is rooted in a number of idealistic, realistic, materialistic, spiritual, monist and pluralistic philosophies,In fact, Asian literature reflects a broader understanding of literature than usually comes to mind when it comes to our usual conception of literature,

The famous Japanese writer, Haruki Murakami, is one of the most read and least spoken Japanese novelists in the media, and the author of a series of writings that aroused the attention of the elites of international cultural institutions. He attracted wide segments of readers across the geography of the world, which enabled him to occupy the rank of the highest-circulated writer in libraries. His works of fiction and non-fiction have won praise from critics around the world, not just in Japan. He is considered one of the most important authors of the literary postmodern period, and his novels are characterized by surrealism and nihilism in the context of the sweeping expression of loneliness. He has won many prestigious awards in literary circles.

**مقدمة** :

استأثرت القارة الأسيوية، خلال العقود القليلة الماضية، بأسماء مؤثرة في الساحة الثقافية والأدبية العالمية، ليصبحون سفراء القارة في المضمار الإبداعي والفكري.. وبالنظر إلى تاريخ القارة في ساحة الأدب، سنجد أنه من الصعب وضعه على قدم المساواة مع الأدب الأوروبي والأفريقي من حيث النشأة وزمن التطور ومراحل النضج، إلا أنه معه ذلك، تزخر الساحة الأدبية حالياً بأسماء أدبية مثل، مو يان و هاروكي موراكامي، اللذين أعادا رسم خارطة الأداب الأسيوية من جديد بتصدرهما قائمة الأكثر مبيعاً وحصادهما الجوائز الأدبية المرموقه.

حيث يعتبر الأديب الياباني ذائع الشهرة، هاروكي موراكامي، أحد أكثر الروائيين اليابانيين قراءة وأقلهم تحدثاً لوسائل الإعلام، وصاحب سلسلة الكتابات التى أثارت انتباه نخب المؤسسات الثقافية الدولية، وجذبت شرائح واسعة من القراء على امتداد جغرافية العالم، ما مكنه من احتلال مرتبة الكاتب الأعلى تداولاً في المكتبات، ليقف

المهتمون بإصداراته الجديدة ساعات من الانتظار لاقتنائها قبل نفاذها. كما بات واضحاً منذ فترة ليست بالقصيرة، تردد اسم موراكامي بقوة لدى الأكاديمية السويدية للحصول على جائزة نوبل للآداب، لينضم موراكامي إلى حلقة اليابانيين الثلاثة الذين نجحوا سابقًا في تحقيق النجاح العظيم: ياسوناري كواباتا (نوبل سنة ١٩٦٨)، كنزابوري أوي (نوبل سنة ١٩٩٤)، كازو ايشيغوري (نوبل سنة ١٩١٧)... تُرى ما هى البصمة الخاصة التى صنعها موراكامي لنفسه؟

نستهل هذا الابحار بنظرة قريبة على تاريخ الأدب الأسيوي وعناصر تفرده ومرتكزاته، انتقالاً إلى مسيرة "موراكامي"، التى غيرت الأقدار وجهته نحو عالم الأدب، ليركض إلى العالمية، في عهد متأخر نسبيًا ، حتى أصبح، في غضون سنوات قصيرة، اسماً لامعاً فى الأوساط الثقافة وسفيراً للأدب الأسيوي ذا بصمه تجريدية عميقة.

## الأدب الآسيوي.. النشأة والهوية

أسئلة كثيرة تطرح نفسها عند التفكير بالأدب في آسيا مقارنة بالآداب في أفريقيا وأوروبا وأميركا الشمالية وأميركا اللاتينية. وعلى رغم من وجود مراكز لدراسة الأدب الآسيوي، في عدد من الجامعات الأميركية أو الآسيوية، إلا أن مفهوم الأدب الآسيوي لم يجد حتى الآن تحديداً نظرياً يحدد معانيه والسياقات المعرفية التي يتحرك ضمنها، والسمات المشتركة التي تميزه عن غيره من الآداب الأخرى.

فى المقابل، فقد حظي الأدب الأوروبي، والأفريقي، والأميركي، أو الأميركي اللاتيني، بعدد لا يحصى من الدراسات النظرية والتطبيقية التي تقرأ تاريخ تلك الآداب، والخصائص المشتركة التي تجمع بينها، وتجعل منها حقلاً معرفياً قابلاً للبحث والدراسة والتحقق. ربما يعود الأمر إلى كون تلك الآداب تمتلك بعضاً من التاريخ المشترك ولحظات التكون الأولى ومعالم التطور الأساسية، أو على الأقل بعضاً من التشابه والتوازي، بحيث أمكن جمع آداب شعوب ولغات مختلفة تحت مظلة اسم واحد.

أما الأدب الأفريقي، المكتوب باللغات الإنكليزية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية، وعدد لا يحصى من اللغات المحلية، كالسواحلية والهاوسا، فإنه لا يقوم على تشابه العوالم اللغوية بل على وحدة التجربة الوجودية لشعوب القارة الأفريقية.

أما العالم الآسيوي، فهو واسع ممتد، فهي القارة الكبرى من حيث المساحة الجغرافية وعدد السكان. كما أنها تمثل، من حيث التنوع اللغوي والتعدد الإثني، القارة الأغنى والأعرق بحضاراتها الكبرى الضاربة في التاريخ. لكن الآداب الآسيوية لم تدرس حتى الآن للبحث في تنوعها الخاص، وتجاربها اللغوية المتعددة، وصلات آدابها بعضها ببعض، والطاقات الإبداعية التي قد يكون عدد منها يمتلك خيوطاً مشتركة ومساحات ينبغي التعرف الى ما تختزنه من تشابهات في العوالم والتجارب.

الآداب الآسيوية كيان هائل يشمل آداب نصف البشرية تقريباً، امتداداً من الأرخبيل الياباني عبر كتلة البر الآسيوية، بما في ذلك الصين والهند وكوريا، وصولاً إلى غرب آسيا حيث اللغات السلافية والفارسية والتركية وغيرها كثير، ابتداء من أقدم العصور، وصولاً إلى أحدث تيارات الإبداع في هذه الآداب، وتستمد الآداب الآسيوية جدارتها بالاهتمام والمتابعة والتأمل والترجمة أيضاً من العديد من الأبعاد، وفي صدارة هذه الأبعاد استنادها إلى أصول فكرية شديدة العمق والثراء والامتداد. ولا يعني هذا بالضرورة أن الآداب الآسيوية قد انصرفت إلى التركيز على مشكلات السلوك البشري والقيم الأخلاقية وحدها، فهناك تيارات تبدي اهتماماً بمشكلات ميتافيزيقية أساسية، وتركز على أن الذات أو النفس جوهر قائم بذاته، وتنظر إلى الواقع من هذا المنظور، بينما هناك تيارات أخرى ترى في فكرة الجوهر وهماً لا أساس له، وهناك تيارات ترى أن الواقع مؤلف من عدد هائل من العناصر النهائية، وهي التي تحمل اسم "الواقعية التعددية".

يمكننا أن نقترب بشكل أكبر من الأصول الفكرية للأدب الياباني، على وجه التحديد، ربما لأن اليابانيين لم يترددوا منذ أول احتكاك لهم بالحضارات الآسيوية الأخرى في الاستعارة منها، سواء فيما يتعلق بالموضوعات أو أشكال التعبير أو الخلفيات الدينية والفكرية. من يتابع الآداب الآسيوية سوف يراها تضرب بجذورها في حشد مدهش من الفلسفات المثالية والواقعية والمادية والروحية والواحدية والتعددية، فضلاً عن النزعة العدمية، ومذهب الشك الفلسفي.

<u>هناك خمسة أبعاد تشكل الخلفية الفلسفية للأعمال الأدبية اليابانية، وهي كالتالي:</u>

- **البوذية**:

تم إدخالها إلى الأرخبيل الياباني من كوريا، في القرن الخامس الميلادي، فشكلت ما يمكن النظر إليه على أنه أقوى تأثير على الأدب الياباني، حيث لونت كل قوالب التعبير الأدبي وأشكاله، وقد يمكن الذهاب إلى القول إنه من المستحيل فهم الأدب الياباني في المرحلة ما قبل الحديثة دون حد أدنى معقول من الفهم للبوذية.

- **الأخلاق الكونفوشية**:

تم إدخالها إلى الأرخبيل الياباني من الصين، وقد أثرت بدورها بعمق بالغ في الأدب الياباني، وهو تأثير أخذ في بعض الأحيان صورة عظات فجة تقاطع السرد للحكاية التاريخية، وتبرز في بعض الأحيان في الأعمال الدرامية التي تصور الشوط الهائل الذي يقطعه الرجال والنساء لاظهار الولاء لآبائهم، أو غير ذلك من الفضائل الكونفوشيه. وعلى الرغم من أن المبادئ الكونفوشية لا تمنح نفسها في يسر للتعبير الشعري، كالمعتقدات البوذية الأساسية، إلا أنها لونت مواقف المجتمع ككل وخاصة منذ القرن السابع عشر.

- **تأثير الشنتو**:

يعد اظهار هذا التأثير في الأدب الياباني أمراً أكثر صعوبة، ولكنه ماثل بلا شك، وربما كانت طبيعة العبادة الشنتوية، التي تدور حول عبادة الطبيعية، هي المبرر للاهتمام المدهش في كل أشكال التعبير الأدبي الياباني بالمواسم وما يرتبط بها من زهور وحيوانات.

- **مزيج من البوذية والكونفوشية والشنتو**:

يمكن لمثل هذا المزيج أن يتخلل الكثير من الأعمال الإبداعية الأدبية، فعلى الرغم من التناقضات البارزة بين التيارات الثلاثة إلا أن المرء لا يقرأ عن أناس يشعرون بالتمزق بين أديان متصارعة، ذلك أنه بعد القرن السابع عشر أصبحت الكونفوشية تنظم واجبات الفرد حيال المجتمع، بينما تنظم البوذية اهتماماته الروحية، أما متعته في الدنيا حيال جمال المواسم أو حب الصغار فتنبع من المعتقدات الشنتوية.

- **ميتشي**:

هذه الكلمة التي تعني "الطريق" المرتبط بالإبداع الأدبي، وتنضم إلى الديانات والأنساق الفلسفية في تمسك المؤلفين اليابانيين بها. وهذا يمثل ما يزيد عن الإخلاص العادي من جانب الشاعر أو المؤلف الدرامي بمهنته، فهو تكريس لما يعتقد أنه أسمى مبادئ الفن.

ولقطع شوطاً أبعد في تفهم مدى ثراء الأصول الفكرية للأدب الياباني، التي تجعله جديراً بتحمل عناء الجهد الهائل الذي يبذل في إطار محاولة ترجمته، فما علينا إلا إلقاء نظرة على المجلدين اللذين يقع فيهما كتاب "مصادر العرف الياباني"، حيث يتبين لنا أن هذا الجهد المبذول لرصد أبعاد العرف الأدبي الياباني، منذ عام ١٦٠٠ إلى عام ٢٠٠٠، إنما يشكل رحلة هائلة الامتداد تبدأ برصد الحضور الياباني في التواريخ الملكية الصينية، ومن ثم أقدم الكتابات الصينية، وصولاً إلى حرب المحيط الهادي في التاريخ والذاكرة اليابانيين وانتهاء بالعنوان الدال "إعادة النظر في الأمة".

إن الآداب الآسيوية، في تقاليدها العريقة، تعكس فهماً للأدب أوسع نطاقاً مما يقفز إلى الذهن عادة عندما ينصرف إلى مفهومنا المعتاد عن الأدب، وإذا تأملنا الآداب في الصين واليابان وكوريا، على سبيل المثال، فسوف نلاحظ أنها حتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كانت تعيش في بيئة ثنائية اللغة، واللغتان هنا ليستا لغتين محليتين، كما هو الحال بالنسبة للانجليزية والفرنسية في كندا، وإنما كانت هناك في كل دولة لغة حديثة محكية، أو أكثر، لكن كل الاتصال الجدي المكتوب كان يتم إنجازه عبر اللغة الصينية الكلاسيكية، التي ترتبط بالأساس الايديولوجي البارز للثقافات الثلاث، أي الكونفوشية.

تندرج الأجناس الأدبية في الثقافات الكونفوشية في شرائح تراتبية إلى حد كبير بدورها، وتتحدد قيمتها ومكانتها من خلال استخدامها من قبل المسؤولين المثقفين، فالرجال الذين تلقوا تعليماً رفيعاً كانوا يدرسون التاريخ والشعر، وهما القالبان الأكثر تقديراً، جنباً إلى جنب مع الفلسفة والمقالات والتعليقات، وقد وجدت الروايات والقصص الأهلية في الثقافات الثلاث، ولكنها على الصعيد الرسمي كان ينظر إليها باعتبارها

هامشية، بل وتافهة، أما الكتابات ذات القيمة فكان يقال لها "وين- Wen" بالصينية و "بان-bun" باليابانية و "مون-mun" بالكورية، وشملت أجناساً متنوعة مثل السرد التاريخي القائم على الأحداث والوقائع، القصائد الغنائية والمذكرات التفسيرية المرفوعة إلى العرش أو إلى رئيس الحكومة.

كذلك كان مفهوم "الأدب" مختلفاً عن مفهوم "وين – بان – مون" أو ماكان يشار إليه على أنه "التعلم" في اللغات الثلاث (شوين – جاكومون – هانجومون). وبدا هذا الفارق كأوضح ما يكون من خلال الحقيقة القائلة إن ذروة تراتبية الأدب الأوروبي كانت تحتلها الرواية، بينما في شرقي آسيا شغل الشعر هذه المكانة، بينما أُحيلت الرواية إلى القاع. وبتعبير آخر فإن تراتيبة الأدب الأوروبي والوين – بان – مون في شرقي آسيا كانتا على طرفي نقيض.

كذلك يتسع نطاق الأدب الياباني عن المفهوم التقليدي للأدب، ففي كل مكتبة يابانية يوجد قسم كبير يحتله جنس أدبي ليس له نظير مقارب له في الآداب الأوروبية وكذلك في الأدب العربي، وهذا الجنس هو ما يعرف باسم "زويهتسو-Zuihtu" وهو ما يعني حرفياً "تتبع دفقات الفرشاة" والمقصود به المقالات القصيرة التي تدور حول موضوعات أدرجت على نحو عشوائي، وهذا القالب حقق تطوراً كبيراً، واكتسب شعبية لا يستهان بها. وهناك أيضاً أجناس تندرج في صميم الأدب في التقاليد الآسيوية تتعلق بتأملات في الجمال والتصوف، وهو يدرج تقليدياً في الأدب، لكنه يتحدى التصنيف بالمعايير الأدبية الغربية، وهناك أيضاً تأملات في الوجود والحياة والدين تدرج في إطار التقاليد الآسيوية في الأدب، حتى اليوم، وهذا لا يمنع دخول الرواية في مضمار المنافسة واهتمامات القراء بفضل أقلام وطنية رشيقة، من أبرزهم هاروكي موراكامي.

## موراكامي.. ورحلة مليئة بالمفاجاءات

هاروكي موراكامي روائي ومُتَرْجِم ياباني، حازت أعماله الخيالية والواقعية على ثناء النُقّاد حول العالم وليس في اليابان فحسب. يُعْتَبَر من أهم مُؤلفي مرحلة ما بعد الحداثة الأدبية، وتتميّز أعماله بالسيريالية والعَدَميّة. فغالبًا ما تتحدّث أعماله عن الوحدة والغُرْبَة. وقد حصد العديد من الجوائز العريقة، مثل: جائزة فرانز كافكا Franz

Kafka Prize، وجائزة فرانك أوكونور الدولية للقصة القصيرةFrank O'Connor International Short Story Award، وجائزة القدس Jerusalem Prize.

لم يَحلُم موراكامي ذات يوم أن يصبح كاتبًا، بل دخل إلى مجال الكتابة الأدبية بمَحْضِ الصُدْفَة. بعد انتهاءه من دراسة الدراما، افتتح مَقْهَى ولم يَخْطُر بباله أن يعمل في مجال الكتابة. وأثناء مشاهدته لإحدى مباريات البيسبول، داهمه الإلهام لكتابة رواية، ومنذ ذلك الوقت لم يتوقّف عن الكتابة. كانت أولى روائعه الأدبية عبارةً عن رواية من ٢٠٠ صفحة، شارك بها في مسابقة للكُتّاب الجُدد. فاز حينها بأوّل جائزة أدبية له، ما دفعه لكتابة المزيد من الروايات. واليوم يُعَد أحد أعظم الكُتّاب الأحياء على وجه الأرض، كما وصفته بذلك جريدة الجارديان The Guardian.

وُلِدَ هاروكي موراكامي في ١٢ يناير ١٩٤٩، في اليابان عقب الحرب العالمية الثانية، لوالدين كلاهما يعمل في تدريس الأدب الياباني. في طفولته، كان يقرأ الأعمال الأدبية لعدة كُتّاب أمريكيين، أمثال كيرت فونجيت، ريتشارد بروتيجان، وجاك كيروواك. وقد تأثّر بشدة بالثقافة الغربية منذ سنٍ مُبكرة، وغالبًا ما يظهر هذا التأثير في أعماله الأدبية، مما يُفَرّقه عن الكُتّاب اليابانيين الآخرين. بزغت براعم تطلعاته الأولى للثقافة والأدب الغربي منذ أن انتقل مع والديه إلى مدينة كوبه اليابانية، حيث إنها مدينة شاغرة بالأجانب بصفتها ميناء، تجمع السائحين والزوّار من شتّى البِقاع. كما فتحت موسيقى الجاز وأفلام هوليوود والروايات الشعبية الأمريكية الآفاق أمامه، فراح ينهل من قراءة شتّى صنوف الأدب الغربي بخاصة الأدب الروسي، وبينما كان يتزايد عمره، كانت تتنامى قراءاته، فكان متأثرًا ببعض الكُتّاب الغربيين منهم "فرانز كافكا" و "جوستاف فلوبير" و "تشارلز ديكنز" وغيرهم... حتى انصهرت ذائقته وتأثره بأولئك الكُتّاب في حصيلته الثقافية واللغوية، وتشكّل في أسلوبٍ أدبيٍّ خاص يمتاز ويتفرّد به بين مختلف الأدباء اليابانيين.

دَرَس الدراما بجامعة واسيدا في طوكيو. وعندما بلغ الثالثة والعشرون كان قد استقر اختياره على رفيقة دربه "يوكو"، فتزوجا وكان يعتمد في دخله السنوات التالية

على نادي الجاز الذي افتتحه في طوكيو "بيتر كات" .وأثناء مشاهدته لمباراة بيسبول باستاد جينجو، داهمه الإلهام لكتابة رواية. فشَرَع حينها في الكتابة، وانتهى من تأليف رواية "استمع للرياح تُغَنّي" المكوّنة من ٢٠٠ صفحة في الخريف من نفس العام، وشارك بها في مسابقة للكُتّاب الجُدد والتي فاز فيها، ونُشِرَت الرواية في العام التالي. وبعد صدور روايته الأولى أخذت شهرته وشعبيته- ككاتب- تتزايد، ثم نُشِرَت روايته الثانية "١٩٧٣ Pinball" في عام ١٩٨٠، حيث تدور الرواية حول مواضيع الوحْدَة والصداقة والقَدَر وتم ترشيح الرواية لجائزة أكوتاجاوا Akutagawa Prize.

ومع النجاح الذي حققته أولى رواياته، قرر أن يواصل عمله في الكتابة وباع المَقْهَى الخاص به. وقد توهج نجمه مع صدور روايته "الغابة النرويجية" Norwegian wood، فتضاعفت شعبيته وتألقت مكانته الأدبية. في عام ١٩٨٢، أصدر رواية "مطاردة الخراف الجامحة"، والتي شكلّت مع الروايتين السابقتين سلسلة "ثلاثية الفأر". وخلال الأعوام القليلة اللاحقة، سافر مواركامي إلى مدينة فوجيساوا، ثُمّ إلى مقاطعة سنداجايا. في عام ١٩٨٥، نَشَرَ رواية "أرض العجائب الحارة ونهاية العالم"، وهي رواية غريبة وسريالية، تنقسم بين روايات متوازية. وفي غضون عامين، أصدر رواية "الغابة النرويجية" عام ١٩٨٧. تدور أحداث الرواية في طوكيو في أواخر الستينات، وهي الحقبة التي تظاهر فيها الطلاب اليابانيون ضد النظام الحاكم. حازت الرواية على شُهرة واسعة بين الشباب.

في أواخر الثمانينات، أقام مؤقتًا بأوروبا لعدة سنوات، ثُمّ انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٩١.أقام بولاية نيوجيرسي، وعَمِلَ باحثًا مُساعدًا بجامعة برنستون. تمت ترقيته إلى أستاذ مُساعد بالجامعة في عام ١٩٩٢. ثُمّ بدأ التدريس في جامعة ويليام هوارد تافت في عام ١٩٩٣. وعلى الرغم من أن حصيلة مواركامي من القراءة كانت غنية وكثيفة للغاية، فإنه حينما قرر كتابة روايته الأولى كان لا يملك بعد الأدوات والفصاحة الأدبية التي تمكّنه من صياغة نصٍ روائي مُحكم. إلا أنه استمر في الكتابة على أي حال بالأسلوب الذي كان يراه جيداً، وعندما فرغ من عمله. لم يرضَ

عن ذلك، ثم قرر بذل محاولات أخرى لتطوير واكتساب أسلوبٍ أدبي منمّق ومميز، فأخرج آلة الكتابة من خزانته الخاصة ثم راح يكتب بالإنجليزية بلا توقف. وهكذا ظل يحاول تطوير أسلوبه الأدبي شيئًا فشيئًا بعباراتٍ قصيرة وتعبيراتٍ بسيطة.

يقول موراكامي: "لم أحاول إثارة الإعجاب" وبعد انتهائه من الفصل الأول، قام بإعادة كتابته باليابانية. جديرٌ بالذكر أن العديد من النقاد أطلقوا على الأسلوب الأدبي لموراكامي "أسلوب الترجمة"، حيث تبدو كتاباته كأنها مُترجمة من الإنجليزية. وعقّب موراكامي عن ذلك بأنه يرى أن أي لغة هي مجرد أداة تعبيرية للسرد، وبالتالي فإنها ليست مُقيدة بطريقة واحدة لذلك، بل هناك العديد من الأساليب المختلفة.

## موراكامي.. روائي يخالف التوقعات

لا يعمَد "موراكامي" إلى الترويج لكتبه ومؤلفاته، فأعماله لا تحتاج إلى ذلك. وكل عمل من أعماله يشكل حدثاً في حد ذاته، متصدراً قائمة أفضل المبيعات، فقد حققت رواياته مبيعات تقدر بملايين النسخ. ورغم ذلك يفضل الابتعاد عن الصخب والأضواء. إنه يحافظ، بحسب قوله، على التركيز الضروري لتطوير عمله. هناك أيضاً متلازمة تحرك أبداع موراكامي تتعلق بولعه الشديد بالموسيقي رغم عدم إيجادته للعزف أو الغناء، لكنه كان عضوا في نادي الجاز واتيحت له فرصة الاستماع إلى الموسيقي الجيدة طوال الوقت.

ففي الستينيات تمتع بالاستماع إلى كبار الموسيقيين، مثل جون كولتران، ومايلز ديفيز. علاوة على ذلك كان الحى الذي يقطن فيه يضج بموسيقي الجاز والروك، نظرا لقربه من مسرح كولين. هذا المناخ الفني التحفيزي أسهم في نمو الحس الابداعي لديه من الصغر، بينما تفجرت مكامن ابداعه التى لم يكن يستطيع القبض عليها وتحديد وجهتها عند مشاهدته مبارة للبيسبول، في التاسعة والعشرين من عمره. خرج تواً من المبارة وقرر شراء قلم وأوراق فى طريق العودة إلى المنزل، ثم شرع في الكتابة التى قرعت بابه للتو في فجر هذه الليلة، لتشكل هذه اللحظة لقاءًا قدرياً وضعه على نقطة البداية التى انطلق بعدها نحو عالم الكتابة الذي لم يختره عن عمد، لكنه كان ينمو داخله منذ الصغر.

وحين سئل "موراكامي" عن ولعه بالكتابة أكثر أم الموسيقى؟ أجاب بأنهما شيء واحد، كوجهين لعملة واحدة، بل يرى أن الموسيقي تعطى الانسان، بصفة عامة، والكاتب، بصفة خاصة دفقة من القوة الخفية. فهى دائما ما تتجاوز المنطق وترنو نحو الروحانية وتحمل تأثيرا قويا من التعاطف. وهو الشيء نفسه مع الروايات. كلاهما يلمس القلب والروح؛ الموسيقى والكلمات. والحالة الوجدانية التى تولد فيها الكلمات والنغمات إنما هى لحظة واحدة شديدة الشبه. وعلى الرغم من أن الموسيقى والأدب لا يملكان دوراً مرئياً يخلق تأثيراً مباشراً على الجموع، لكنهما يتراكمان ويخلقان قوة ثالثة نتيجة تمازجهما في عقل المتلقي.. لذلك يبدو "موراكامي" كاتباً من طراز خاص انصهرت داخله مقومات عديدة للتفرد لتعلن ميلاد موهبة جانحة تسحق كل التابوهات التقليدية، فهى نتاج تزواج خاص لألوان متنوعة من الفنون، جعله كاتباً بدرجة فنان غير قابل للتوقع وغير خاضع للرهانات المنطقية.

المتتبع لأعمال موراكامي يجده كاتباً شديد التلقائية والعفوية والصدق، ليس فقط كطبع شخصي، ولكنها سمة مسيرته الأدبية أيضًا. يكره الأضواء ولم يسع يومًا لأن يكون معروفًا ولم يستخدم الكتابة كمصدر لجمع المال كان يؤكد أنه لم يُصَب يومًا بما يُعرف بـ"الانقطاع الكتابي Writer's block"، الذي يصيب العديد من الكتّاب، فلم يكن يومًا مضطرًا لأن يدفع السطور من قلمه دفعًا أو أن يعتصر عقله في محاولة تدوين أحد نصوصه، لأنه مقيد بعقدٍ مع إحدى الهيئات أو مُلاحق بموعد ما لتسليم نصوصه، ومن ثم لم يكن في حاجةٍ إلى ممارسة فعل الكتابة إلا حينما يكون لديه ما يكتبه ويلح عليه كى يراه الجميع. الكتابة تمثّل له فيضًا عفويًا من الأفكار والنصوص؛ حين يتأتّى لعقلِه أولُ الغيث ويمازج خاطرَه النزعةُ لسرد رواية، ينفرد بذاته أو ربما يسافر بمعزل عن كل أشكال التشتييت، ومن ثَمّ يبدأ روتينه الصباحي بالاستيقاظ مبكرًا وتدوين ما يتوارد إلى ذهنه وفى الأغلب يمكنه الانتهاء مما بدأه سريعاً بفضل الدفقة الشعورية الجامحة التى تسيطر عليه آنذاك والتى تنتقل بدورها عبر سطوره إلى القراء، ما يفسر سر استحواذه بهذا الشكل على شريحة عريضة من المتابعين. فهو يقدم كتابة طازجة من القلب.

## إبحار فى عالم "موراكامي" الأدبي

على الرغم من أن العديد من كتابات موراكامي تتسم بمزج الواقعية بالخيال؛ فإن ذلك أيضًا لم يكن مُتعمّدًا منه؛ فهو لم يتعمد تبني خطة ممنهجة تهدف لمزج الواقعية بالخيال؛ لكنه كلما كتب عن أفكار وقضايا واقعية تسرب الخيال تلقائيًا بين سطوره، مستأثراً بمساحته الخاصة. كما يُشكّل العالم غير الواقعي أو الخيالي عند موراكامي الضفّة الأخرى للحياة، فعندما سألته "ديبورا تريسمان" عمّا إذا كان ذلك الجانب الآخر – كما يسميه– مظلماً. أجاب أنه ليس بالضرورة أن يكون مظلماً ولكن الأمر متعلق أكثر بالاستكشاف؛ حيث يعتبر موراكامي الكتابة بمثابة باب مُغلق يدلف إليه ويستكشف ما وراءه ويتشارك ذات الشغف مع قراءه.

إحدى الأفكار الرئيسية المتكررة في كتابات موراكامي هي فقد شيء ما، والبحث عنه ومن ثَمّ العثور عليه، سواءً كان ذلك الشيء قضية أو هدفًا أو شخصًا أو حتى هويّة، ولكن غالبًا ما تكون النهاية غير سعيدة، فيما تكمن فلسفته السردية في التعبير عن أفكار وقضايا أكثر عمقًا وتعقيداً باستخدام أسلوب روائي سلس وبسيط وشيِّق، فيرى أنه من السهل التعبير عن أفكار سطحية وضئيلة باستخدام أساليب رنّانة معقدة، بينما التحدي الحقيقي هو توصيل مستوى أعمق من الأفكار والقضايا المُركبة بأسلوب بسيط سلس لا يستعصي على القراءة ولا يُضني الاستيعاب. كذلك لا يمكن إنكار أن أثر الحرب العالمية الثانية لا يزال يلاحق كتاب الرواية في اليابان والعالم، وهاروكي موراكامي أحدهم، إذا تشي تشير روايته "يوميات طائر الزنبرك" بأجزائها الثلاثة، بكثير من النقد الإنساني والوجودي لتلك الحرب وللحياة البشرية في زمن العولمة. ذلك التهديد الوجودي للحروب، وتفاقُم هذه الفظائع التي لم تتوقف حتى اللحظة، هما الثيمة التي تتجسد على مدار الأجزاء الثلاثة لرواية "يوميات طائر الزنبرك".

ولا شك أن غرائبية النص الروائي في يوميات "طائر الزنبرك" تقترب من المناخات الكافكاوية، لا سيما الفانتازية منها، لكنها تتقاطع أيضاً مع الواقعية السحرية لأدب أميركا اللاتينية، لا سيما بتفاصيلها وتعقيداتها السردية الغنية. لكنها هاروكية بامتياز،

إذ تتخلى عن كونها يابانية الطابع حصراً، وإن لم تخل من بصمات الأدب الياباني، فهو الروائي الذي وصفته "الغارديان" البريطانية بـ"أحد أهم رواد الأدب الروائي ما بعد الحداثة".

كذلك كتابه q841 يعد أحد أكثر كتب موراكامي نجاحًا، ومن أعظم قصصه، وتنقسم إلى ثلاثة كتب. تبدأ الكتب بسرد قصة شخصيتين مختلفتين هما Aomame و Tengo الأول مدرس فنون الدفاع عن النفس وقاتل مأجور سرًا، والثاني مدرس رياضيات وكاتب طموح. ينتقل العمل نحو الرومانسية، بالإضافة إلى العديد من الألغاز والأحداث السريالية. اسم الكتاب هو q841 نسبة إلى السنة التي تدور فيها القصة (١٩٨٤). نُشر الكتاب في ٢٠٠٩ إلى ٢٠٠٩ وصدر في البرازيل في ٢٠١٢. ومن أشهر وأنجح أعمال موراكامي أيضاً روايته "كافكا بجانب البحر" وهى واحدة من أكثر رواياته طموحًا، ذات تاريخ مدهش وخيالي، مؤلَفة من إشارات تنتقل من عالم البوب الياباني إلى المآسي اليونانية.

على الرغم من أن المتتبع لطقوس وروتين موراكامي ونزعته التأملية يجزم بأنه شخص حالم من الطراز الرفيع، إلا أن عقلّه الطوّاف المُحلّق في عالم موازٍ يحمله شخصٌ تطأ أقدامه أرض الواقع بخطا ثابتة، مُدركة لجميع أحداث الواقع ومآلاته. وإلى جانب الموضوعات والأفكار الفلسفية والرمزية الممتزجة بالعالم الخيالي السريالي المتدفق في حبكاته، فإنه كاتب شديد التفاعل والتأثر بحوادث الواقع ومآسيه؛ فبعد زلزال ١٩٩٥ في مدينة كوبه اليابانية، والتي نشأ فيها موراكامي، وحيث تدمر منزل والديه الذي شهد طفولته ضمن العديد من منازل أقاربه وأصدقائه. كتب مجموعته القصصية "بعد الزلزال" المُؤلفة من ٦ قصص قصيرة مُستلهمة من فاجعة الزلزال. وفي نفس العام وقع هجوم غاز السارين بمترو طوكيو، وبينما كان موراكامي خارج اليابان يتتبع أخبار الحادث ويقرأ ما تناولته الصحف والمجلات، قرر أنه بحاجة لمعرفة وتوثيق الأمر من زاوية أقرب وأصدق، قام بعمل مقابلات وتسجيلات للضحايا أنفسهم وطرح عليهم أسئلته الخاصة، ثم نشر تلك المقابلات والحوارات المُسجلة في كتابه

"تحت الأرض/ underground" وفيه قرر الاستماع لأصوات الضحايا وتوثيقها. كان يرغب في مؤازرة ضحايا الزلزال وضحايا هجوم غاز السارين وغيرهما من الفواجع الإنسانية التي يضطرب لها الوجدان.

العديد من جمهور موراكامي يعلم أنه يترجم من وإلى اللغتين الإنجليزية واليابانية، هو لا يكتب إلا حينما يكن لديه ما يكتبه، فعدا ذلك فإنه يترجم فقط. يُطلِق موراكامي على هذه الممارسة اسم "عملية إعادة الضبط" لعقله الروائي، كما يُطلق على ممارسته هذا التناوب المستمر بين الكتابة والترجمة بـ "الشوكولاتة ورقائق الأرز" اشتقاقًا من المثل الياباني القائل بأنه: "يمكنك تناول الحلو والمالح من الطعام في حلقة تناوبية مستمرة بلا ملل". كانت قراءات موراكامي الغزيرة وإتقانه اللغتين الإنجليزية واليابانية، قد أكسباه مهارة لغوية وحسًا أدبيًا ماهرًا، بما أهّله لترجمة العديد من الأعمال لكُتّاب عالميين.

## الخاتمة

توجد ترجمات متعددة لأعمال موراكامي بأكثرمن ٥٠ لغة في المكتبات العالمية، وسواءً كنت من قُرّاء موراكامي أم لا، أو كان أحد الأدباء المفضلين لديك أم لا، فلا يسعك إلا أن تشيد بصدقه وتميّزه على الصعيد الأدبي والإنساني، فإذا كان تعريف الأدب في جوهره هو- كما عبّر عنه الكاتب والناقد الأدبي الإنجليزي "فيليب سيدني" - أن يكون ثريًا بعُنصري الإفادة والإمتاع معًا؛ فقد نجح موراكامي في تحقيق ذلك على أكمل وجه.